

الخميس 24-04-2008

237-قراءة في أحلام فتاة الناقد

(حلم 51) ، (حلم 52)

حلم 51

وقف القطار دون وجود محطة فتساءلت صاحبتى عن السبب ولكنى لم أدر كيف أجيبها.

وإذا بكتائب من الجيش تطوقه فتقتحمه شاهرة أسلحتها وسأقت الى الخارج كثيرين من ضباط الجيش الذين كانوا بالقطار وعددا محدودا من المدنيين. وقبض على فيمن قبض عليهم فتزكت صاحبتى منزعجة خائفة. وجدنا أنفسنا في صحراء. أمرنا الجنود المسلحون مجلج بدلنا والبقاء بملابسنا الداخلية، ولكنهم وضعوا العسكريين في ناحية والمدنيين في ناحية، واخذنا نتهامس أننا ضعنا وانتهى الأمر.

وجاء قائد الجنود ونادى علينا كل واحد باسمه. وتساءل صوت منا

- هل تقتلوننا بلا حكمة؟

- فأجاب القائد بصراحة:

- الامر لا يحتاج الى حكمة

وتحرك القطار فتذكرت صاحبتى.

القراءة

هذا حلم آخر من الأحلام التى تفرض نفسها لنقرأها رمزاً لم يعد له ضرورة أن ينبوع عن الموضوع الأصلي، تفرض مثل هذه القراءة المرموزة نفسها على الناقد، وربما تسحبت الكتابة إلى الكاتب بنفس الطريقة، أى: فرضت نفسها فرضاً

الذى عاش هذه الفترة مثلى ومثله لا يتردد في قراءة هذا الحلم قراءة مباشرة.

كان القطار قد توقف بنا فعلاً، دون وجود أى أمل في قيام بعد هذه الوقفة، إذن فهى ليست محطة يتوقف فيها قطار يجدد

جديد، التوقف هنا عجز عن الحركة، لا أكثر، كان الحال قد وصل إلى التوقف التام حتى راح كل الناس يعرفون أن شيئاً ما لا ركابه، وقد يتزود بوقود، أو يراجع خط سيره، ثم يقوم من **بد أن يحدث وإلا..** الفترة ما بين حريق القاهرة في يناير وحركة يوليو في يوليو كانت وقفة لم تنجح في استثمارها تغيير الوزارات (حسين سرى باشا، نجيب الهلالي باشا، ..إخ)، ولا إشاعات تغيير الحاشية أو تطهيرها، ولا محاولات في دهاليز انتخابات نادى الضباط، ولا أصوات المعارضة الحقيقية بعد أن استبعد حزب الأغلبية كالعادة، ولا هتافات وتهديدات وتجاوزات الإخوان، حين وقف القطار هكذا لنفاد الوقود، أو غباء السائق أو سلبية الركاب انتهت الفرصة كتائب الجيش، وتحوطته واقتمتته، ثم فصلت من فصلت من الجيش، ليتبين أن ذلك لم يكن ليعود القطار إلى سيره، وإنما تأمينا للكتائب التي اقتحمت، أما المدنيين القلة فقد تكون إشارة لأن المدنيين لم يكن لهم دور مباشر في تسيير الأمور، ومع ذلك فقد استبعدت كتائب الجيش المقتحمة كلا من القلة والكثرة المنسحبة عن المشاركة على حد سواء،

برغم أن أغلب هذه الكثرة ربما تصورت أنها وقفة في محطة لتجديد الركاب ومراجعة المسار فرجبت بالوقفة من حيث المبدأ، بل وبالهجمة والتطويق قبل أن تتبين، بعد فترة ليست طويلة، أنه لم تكن ثمة محطة أصلاً.

مضطر اضطرارا أنا أن أرى صاحبتة تلك هي "مصر" (برغم تحفظى المتكرر على مثل ذلك)، مصر الحقيقية كانت منزعجة فعلا برغم الحماس الميدنى، وإرهاصات احتمال تحقيق الحلم. سُجبت الأرض من تحت الجميع، انهارت الحياة المدنية كأصل في تجديد الركاب ومراجعة المسار، خُلت الأحزاب، واستبعد أصحاب المصلحة من المشاركة في القرار، وضاعت المعالم فهى الصحراء **"ضعنا وانتهى الامر"**

عادة ما تلحق الثورات- أو حتى الحركات التي تثورت- مرحلة دستورية قانونية تستوعب نتائجها، فالعدل هو الخل، والمحكمات قادرة على أن تفرز الخونة من الأبرياء.

ما هذا التخريف بالله عليك؟

الحلم ينتهى كما انتهى الأمر الواقع، وكما يمكن أن ينتهى حالنا هنا والآن، برغم أن العساكر يلبسون حلا مدنية،

هل يمكن أن نقرأ نهاية الحلم باعتبارها أحوالنا "الآن":

وتساءل صوت منا

- هل تقتلوننا بلا حاكمة؟

- فأجاب القائد بصراحة:

- الامر لا يحتاج الى حاكمة

لكن القطار تحرك

تحرك وتركهم في الصحراء ينتظرون القتل بلا محاكمة

أين صاحبه؟

هل هي بداخل القطار، وقد تحرك بها إلى المجهول؟

أم أنها تسللت من وراء هؤلاء وأولئك تبحث عن وسيلة أخرى تنقلها إلى ما تستأهله؟

تذكر صاحبا صاحبه بعد حركة القطار، ترى ماذا سيفعلون بها؟

إن كانت ما زالت بداخله

فإلى أين؟

يا رب سترك!

إن كانت قد نجحت في الهرب للاستعداد أو لإنقاذ الممكن؟ فهي تنادينا لنقوم بدورنا الآن وليس بعد،

وإلا..

فالأمر لا يحتاج إلى محاكمة

حلم 52

دعينا إلى اجتماع في حديقة الأزبكية. وهناك طرح علينا اقتراح بتكريم أستاذنا الجليل بمناسبة مرور مائة عام على مولده، ولم يتحمس أحد، ولكن لم يبد أحد منا اعتراضه. واتفق على أن يتم التكريم في وزارة الخارجية التي قضى فيها زهرة عمره وأنجز أكبر مآثره.

وفي اليوم الموعد ذهبت مبكراً لأتفقد المكان واتجهت من فوري إلى البهو المختار، كان أنيقاً مهيباً كعادته ولكن ازدان هذه المرة بوجود الفتيات الحسان اللائى عشقهن على مدى العمر.

جنن في زى موحد ليضمن بالخدمات المطلوبة وقد اكتسب برونق الشباب الريان، خفق قلبي بشدة وتحيرت بين نداءات الحسن وجاء قلبي بأقصى قدراته من الحب. وجاش صدري بالمعانى التي سألقها في خطاب التكريم.

القراءة

حضرني أورليانو من مائة عام من العزلة الذي كان له في كل موقع (وموقعة) خلية، وأولاد منها يشبهونه بشكل أو بآخر.

هذه الحياة الخافلة في الخارج، التي صاحبت كل هؤلاء الحسان، الذين ظلوا حسانا وشباباً برغم أن صاحبهم قد بلغ المائة، العلاقات - ربما مثل أورليانو على ما أذكر - كانت لحساب أورليانو أكثر مما كانت لحساب أحد آخر، ربما كانت الانتماءات كذلك، هل هذا هو سبب عدم الحماس لإقامة حفل التكريم بعد هذا العمر المديد (مائة عام، ليست بالضرورة من العزلة)، عزلة الأستاذ الجليل الرئيس عن الناس واردة، برغم وفرة من عشقهن طوال رحلاته التي أنجز خلالها أكبر مآثره، لم يقل لنا الحلم ما هي أكبر مآثره، وهل كان فتور الحماس لأن مآثره هذه قد اقتصر على مكاسبه الذاتية وملذاته وغزواته الخاصة التي تتمثل في هؤلاء الحسان اللاتي لم يستطع الزمن أن يلمس محاسنهن، فظللن يكتسبن برونق الشباب الريان؟

كيف استطاع صاحبنا هكذا، وبكل بساطة أن يجعل قلبه يأتي، أقصى قدراته من الحب، وكأنه يدير ماكينة عواطف التكريم؟ كيف أزاح الحقد الطبيعي المنتظر في مثل هذا الموقف، وهو الذي قد يفسر عدم الحماس لفكرة تكريمه رغم أنه أستاذهم؟ وهل الاجتماع في حديقة الأزبكية، في حين أن الحفل يقام في بهو وزارة الخارجية يعلن اختلاف الانتماء بين المحتفلين والمحتفى به، فهم ينتمون إلى بلدهم، وهو يمارس حياته الزاخرة اللذيذة في الخارجية مع من يتمتع بهن من صاحبات الشباب الدائم والحسن المتجدد؟

أن تحب غير أن تستحضر أقصى قدرات قلبك من الحب،

كما يبدو أن المعاني التي سيلقيها صاحبنا في خطاب التكريم ليست تلقائية برغم أن صدره قد جاش بها!!

فبدلاً من أنه "يسمعها" لنفسه حتى لا يخطئ ويقول ما كان يجب أن يقال،

وليس ما أعده ليقل:

ما دام الأمر كذلك.